# صلاح خالص

## أيام لها ما بعدها

لقد سجل التاريخ الحديث للشرق الاوسط انعطافا حادا منذ السادس من تشرين الاول المنصرم ، فقد اتجه سير الاحداث دونشك اتجاها جديدا لم يكن على الاقل واضحا من قبل ، وتبدلت كثير من القيم والمقاييس التي تقيم وتقاس بها ظواهر الحياة السياسية المختلفة .. بل وقد تغيرت جذريا كثير من النتائج التي توصل اليها العالم ، نتيجة تبدل الفرضيات التي قامت على اساسها هذه النتائج ..

واذا كان هذا الانعطاف طبيعيا تماما بالنسبة لمن ينظر لتطور الاحداث التاريخية نظرة علمية ، ويثق بالجماهير ، ويؤمن بطاقاتها الخلاقة التي لا تقف عند حدود ، فانه بدا مفاجأة لذوي النظرة القصيرة المحدودة الذين فقدوا الثقة بالشعب واستنتجوا من الانتصارات الاولية التي أحرزتها الامبريالية وعميلتها الصهيونية في المنطقة ، انها العامل الحاسم في تطور الاحداث وتقرير مصير المنطقة . لقد أثبتت هذه الايام ان أي تقدير صائب لمستقبل المنطقة يجب ان يضع في حسابه اولا وقبل كل شيء موقف الجماهير ومطامحها وآمالها وأمانيها ، وطاقاتها الظاهرة والكامنة التي يمكن ان تنفجر في أية لحظة تتهيأ فيها الظروف الملائمة .. وان أية محاولة لتقرير مصير الوطن العربي أو أي جزء منه بمعزل عن موقف الجماهير العربية وتجاهل دورها ، مصيره الاخفاق المحتم والفشل الذريع ..

ان انهيار الاوهام التي خلقتها الامبريالية وعميلتها الصهيونية منذ الايام الاولى للقتال في سيناء والجولان ، والنهوض المعنوي الرائع للجماهير العربية من المحيط الى الخليج ، وبروز ارادة القتال والكفاح العربية بأجلى صورها وأروع مظاهرها بمختلفالاشكال وعلى مختلف الميادين ، قد بدد أوهام القوى الامبريالية وعملائها ومزق خططهم وأجبرهم على اعادة النظر فيها في ضوء المعطيات الجديدة التي فرضها تطور الاحداث . واذا كان من السابق لاوانه الحديث باسهاب عن الخطط الجديدة للامبريالية العالمية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية ، فان الامر الذي لا شك فيه انها بدل ان تقصر جهودها على اللعب بورقة واحدة ثبت خسرانها وهي الصهيونية ، فانها ستبذل جهدها في حشد القوى الرجعية المحلية في الوطن العربي ، بشكل اكثر فعالية وحذقا ، وزجها في المعركة لكبح ارادة الكفاح لدى الجماهير العربية الشعبية وتمزيق صفوفها ، وابعادها عن الاساليب الصحيحة في النضال لتحقيق اهدافها ومطامحها .

ولكن اذا كانت الامبريالية ستأخذ الدروس من هذه الايام الحاسمة لتبديل خططها وتكتيكاتها وأساليبها ، فان الدروس التي ستتعلمها الجماهير والعبر التي تستخلصها ستكون دون شك ذات اثر خطير في مستقبل المعركة ضد الامبريالية وعميلتها الرجعية ، وفي مصير الحركة الوطنية وأساليب كفاحها في جميع اجزاء الوطن العربي الكبير ..

انه لامتحان عسير ذلك الذي مرت وتمر به أنظمة الحكم العربية منذ السادس من تشرين الاول ، امتحان سيكون له ما بعده.. لقد كشفت هذه الايام الحقائق عارية دون تمويه ، ومزقت البراقع المزوقة ، وكشفت الشعارات الزائفة ، وأظهرت أعداء العرب بشكلهم الحقيقي ، ورسمت للجماهير العربية طريق النضال الصحيح ضد الامبريالية وذلك باجتثاث عملائها في الوطن العربي من الجذور والقائهم في مزبلة التاريخ .

لقد أظهرت هذه الايام الحاسمة في تاريخ العرب الحديث ، من هم أصدقاء العرب ومن هم أعداؤهم ؟ وما معنى السياسة الصائبة والسياسة الخاطئة ؟ وما هو المضمون الحقيقي لتضامن قوى الخير والحرية والسلام ضد قوى الاستغلال والاستعباد والشر ؟!

ان تشخيصا جديدا لمركز جميع القوى التي تتحرك على الساحة العربية سيكون ضرورة لا بد منها ، وستصدر الجماهير تبعا لذلك احكامها القاطعة على عناصر الهزيمة والتراجع والخيبة والانتهازية ، وستعلمها دماء الضحايا وهدير المدافع وأزيز الطائرات أساليب الكفاح الفعالة ، وترسم لها طريق المستقبل الوضاء ، وتضعها في السبيل الصحيح لبناء مجتمع الغد المزدهر المتقدم .

ان تيجانا ستهتز ، وعروشا ستتصدع ، وقواعد للظلم والاستغلال ظن اصحابها انهم بمنجى عنالعواصف والاعاصير ، ستنهار وتتبدد تحت ضربات الجماهير ، ومراكز قوة أعدها أعداء الشعب لاستنزاف طاقته وتجميد نشاطه ، ستتحطم وتتداعى وتغدو هباء منثورا .. وبكلمة اخرى ان مجمل جهاز القهر والتسلط والارهاب الذي أقامته الامبريالية العالمية في الشرق الاوسط مستعينة بعمليتها الرجعية المحلية وربيبتها المدللة اسرائيل ، قد تصدع وتداعت اركانه وسقط طلاؤه وظهر ضعفه ، واصبح عاجزا تماما عن ان يخيف الشعب ويقف في وجهه . فقلعة الامبريالية الحصينة التي أقامها في قلب الوطن العربي ونسج حولها الاساطير والاوهام لشل ارادة القتال والكفاح لدى الجماهير العربية ، قد ظهرت على حقيقتها قلعة من الورق ، لا يمكن ان تصمد امام الحزم والتصميم والارادة الواعية .. والاغلال الخانقة التي أثقلت بها الشركات الاحتكارية أعناق شعوبنا في المشرق والمغرب ، تبين انها أوهى من خيوط العنكبوت امام عزم الشعب العربي ، واستعداده للتضحية والبذل وطاقته على الثبات والصمود .. اما عملاء الامبريالية وصنائع الاستعمار الذين كانوا يتمتعون بالحول والطول ، فلم يبق أمامهم سوى تملق الجماهير واستدرار عطفها بما يمكن ان يتظاهروا بتقديمه من اسهامات في المعركة .

نعم اننا في بداية انعطاف تاريخي مهم ، وعلى اعتاب تحولات تاريخية خطيرة ، لان كثيرا من الفرضيات التي وضعت في السنين السابقة قد ألغتها هذه الايام تماما ، وثبتت مكانها حقائق جديدة لم يعد يتطرق اليها الشك .. كما ان ضراوة المعركة واتساع مداها القومي قد اعطاها شكلها الحقيقي ، معركة بين الامبريالية العالمية من جهة والامة العربية بكاملها والى جانبها قوى التحرر في العالم كله من الجهة الاخرى .

على ان وجود هذا الانعطاف التاريخي الجديد لا يعني انه كان مفاجأة للحركة الوطنية الثورية في الوطن العربي .. بل ان الامر على العكس من ذلك تماما ، فقد جاءت الايام الاخيرة لتبرهن على صحة الخط الذي كانت تسير فيه الحركة الوطنية التقدمية في العالم العربي وفي مقدمتها السلطة الثورية في العراق التي رفعت شعارات الوحدة الوطنية ونفط العرب للعرب ، والتحالف المتين مع قوى التحرر والتقدم في العالم ، وعدم مهادنة الاستعمار باي

شكل كان ، واعتماد أسلوب الكفاح المسلح أسلوبا اساسيا في المعركة، ونقلت هذه الشعارات الى الواقع باقامة الجبهة الوطنية واعلان بيان آذار وتأميم شركة نفط العراق وحصة الشركات الاميركية والهولندية في نفط البصرة وعقد معاهـــدة التعاون والصداقة مع الاتحـــاد السوفياتي والقاء كل ثقلها وامكاناتها العسكرية في المعركة ..وجاءت هذه التجربة العسيرة الحاسمة لتثبت للجماهير العربية في كـــل مكان صحة هذه السياسة وسلامة هذه الشعارات ، ولتؤكد ان أي طريق آخر لن يؤدي الا الى التفريط بالمصالح الوطنية والقوميـــة ويفتح الثغرات لتسرب النفوذ الامبريالي الرجعي الى وطننا العزيز . ان التاريخ سيسجل بحروف من نور للحكم الوطني في العـــراق موقفه هذا ، كما سيسجل مـــواقف من يسيرون في عكس هذا الطريـق .

لا شك ان التاريخ سيكون قاسيا في حكمـــه ، وان الجماهير العربية لن تغتفر لاولئك الذين يفرطون بمصالحها ، ويتوانون عـــن نصرتها ويمدون أيديهم الى أعدائها ، بل سيكون حسابهم عسيـــرا عندما تهدأ المعركة وتصفى حساباتها ويفرز حشفها من تمرهـــا .. عندئذ ستبيض وجوه وستسود وجوه ، ويكون الحكم للشعب . ولن يقتصر هذا الحكم على السياسيين فحسب ، بل سيتناول الفنانيـــن والادباء ورجال الفكر ايضا .

واذا كانت نكسة ١٩٦٧ قد زرعت بين الجماهير العربية بذور اليأس والشعور بالعجز والضياع ، فـان الحرب النفسيـــة التـــي شنتها القوى الامبريالية وعميلتهـــا الصهيونية العالمية والرجعية العربية قد حاولت تغذية هذه البذور وتنميتها وانعاشها مستخدمـة معطيات تلك الايام الستة المظلمة أسوأ استعمـــال .. ومع ان روح الصمود التي تمثلت على وجه الخصوص في المقاومة الفلسطينيـــة الباسلة والحركات الوطنية الثورية في الوطن العربي لم تنطفـــىء ، رغم الظروف العسيرة التي مرت بها ، فان غيوم النكسة كانت تثقل بكلكلها على النفوس وتملا بهمومها القلوب ، ولا سيما نفوس وقلوب المثقفين ، الذين وضعتهم اكثر أنظمة الحكم العربية على هـــامش الحياة .. وحجب الحقيقة عن انظارهم ضباب الاحداث .

لقد انعكس هذا الوضع النفسي بأجلى صوره في أدب ما بعد النكسة ولا سيما في الشعر .. واذا أخذنا المهرجانات الادبيـــة والشعرية التي انعقدت بعد النكسة ، مثل المهرجانات الشعرية التي صاحبت مؤتمرات الادباء العرب ومهرجانات المربد وأبي تمام فـــي العراق وغير ذلك من المناسبات ، نماذج واضحة لادب هذه الفترة.. فانها تعبر ـ عدا استثناءات قليلة ـ عن انتكاسات نفسية وفكريـة وفنية ، كان أهم آثارها ونتائجها انفصام واضح بين الادب والجماهير، وعجز بيّن عن اسهام الادب اسهاما فعـالا في المعركـة .. وكان سبب ذلك دون شك بعض الافتراضات الخاطئة التي فرضتها النكســـة وغذتها الدعاية الاستعمارية والصهيونية ، والتي تعطي الدور الاساسي الحاسم في حل مشاكل الوطن العربي وفي مقدمتها القضية الفلسطينية للولايات المتحدة الاميركية وعميلتها اسرائيل باعتبارهما القـــوة التي لا تقهر ، وتقلل من اهمية وفعالية الطاقات التي تملكها الجمـــاهير العربية وقوى التحرر في العالم ... وما دام الامر كذلك فليس امامنا سوى الشكوى والبكاء والقاء اللوم على الاقدار ، وانتظار الرحمـة من اعدائنا الذين عسى ان يهديهم الله سواء السبيل ، فيعيدوا الينا حقنا او جزءا منه على الاقل ... ان من الطبيعي ان مستقبلا أسود وغدا ملفعا بالضباب وخيبة مريرة ويأسا غامرا لا يمكن ان توحـــي بأدب مشرق وشعر نابض بالامل والحياة .

ولكن أحداث الشهر المنصرم ( شهر تشرين الاول ) بعنفهـــا وقسوتها ، بدمائها وشهدائها ، بما أحدثته من هزة في العالم مـن أقصاه الى أقصاه ، أزالت الضباب عن الحاضر والمستقبل ، وفندت الفرضيات السابقة وثبتت مكانها حقائق لا تدحض .. اولها اننا نمتلك أثمن ما في العالم اليوم ، نمتلك دمه وطاقته على البقاء وهو النفط ، وانه يكفي ان نلوح باستعمال هذا السلاح لكي تهتز اكبر الـــدول الصناعية واكثرها بطشا وجبروتا وتلتمس رضى العرب وصداقتهم . وان اليوم الذي كانت تستطيع فيه الدول الاستعمارية الكبرى فرض ارادتها بالعنف والقوة قد ولى دون رجعة ... وثانيها ان البشريـة التقدميـة كلهـا معنا وهي قوة هائلـة لا يمكـن ان يستهـان بهـا ... وثالثها ان طاقات شعبنا على القتال والصمود هائلة جبارة لا يمكـن ان تقف عند حد ، وان بامكانها ان تحقق النصر الكامل ان لم يكن اليوم فغدا اذا توفرت لها القيادة الصالحة والامكانات اللازمة ... ورابعها ان قوة عدونا خرافة حاولت الدعاية الاستعمارية الصهيونية اقناعنا بها .. وان عشرة ايام من القتال كانت كافية لان يتهاوى على ركبتيه من الاعياء ويتهالك في طلب ايقاف النار ليلتقط أنفـــاسه ويستعيد قواه المتصدعة .

ان الحقائق الجديدة التي كشفت عنها أحداث الشهر المنصرم قد غيرت خريطة المستقبل في انظار العالم كله ، ولا سيما في انظار الجماهير العربية ، بل لا نبالغ اذا قلنا ان مصير اسرائيل ، الدويلة المصطنعة ، العديمة الموارد ، القائمة أصلا على الغصب والعـدوان والعون الاستعماري ، قد تقرر منذ الآن بشكل واضح لا مجال للشك فيه .. ومهما يبدو في قولنا هذا من تفاؤل فان دراسة معمقة لمعطيات شهر تشرين الاول ذات الدلالات الكبيرة والظروف التي تلتها لا يمكن الا ان توصلنا الى هذه النتيجة ..

ومع انجلاء ضباب الاوهام والخرافات الذي سيطر على الجـو النفسي والفكري الذي ساد بعد نكسة حزيران ، وانكشاف المستقبل على حقيقته امام الافكار والانظار .. فان انطلاقة فكرية وفنية وأدبية لا بد ان تكون على الابواب في العالم العربي .

وكما اننا امام منعطف تاريخي في حياتنا السياسية ، فـــان هذا الانعطاف لن يكون أقل أهمية في حياتنا الفكرية والفنيـــة والادبية . واذا كان الجيل القديم سيجد صعوبة في التكيف لمعطيات الظروف السياسية والنفسية الجديدة ، فان الجيل الجديد سيحمل دون شك راية الفن الجماهيري الجديد ، فن الثقة بالنفس ، الثقة بالشعب ، الثقة بالمستقبل .. فن القوة والعزم والتفاؤل .. فـن المنتصرين لا فن الخائبين المندحرين ..

بغداد — صلاح خالص


دار الطليعـة تقدم :

## الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية

جـورج طرابيشي

« بصراحة أعترف لك بصدق بصيرتك وقوة استدلالك ، ولك أن تنشر عني بأن تفسيرك للاعمال التي عرضتها هو أصدق التفاسير بالنسبة الـى مؤلفهـــا » .

ـ نجيب محفوظ ـ

من رسالة الى المؤلف